Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 9, Issue 1 (2025) • P: 38 - 30
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

Social Dominance in Saudi Narration, Sociological Approach in selected novels

Ms. Shoroq Abdullah Althumairi
College of Humanities and Social Sciences | King Saud University | KSA

Received: 13/12/2024
Revised: 18/08/2024
Accepted: 01/01/2025
Published: 30/01/2025

* Corresponding author: sunisrising1@gmail.com

Citation: Althumairi, SH. A. (2025). Social Dominance in Saudi Narration, Sociological Approach in Selected Novels. *Journal of Humanities & Social Sciences, 9*(1), 30 – 38 . https://doi.org/10.26389/AJSRP.M161224

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The concept of social dominance is linked to the structuring of social relationships, where certain groups prevail over others through influence and control, whether this control is economic or intellectual. Dominance refers to the ability of a particular group or social class to impose its influence, values, and ideology on society as a whole, leading to the formation of unequal power relationships among different groups.

This dominance relies on soft power, such as ideology and culture, in addition to economic power. Social dominance is a critical factor in shaping social relationships, and literature plays an important role in highlighting social and cultural issues. Representations of social dominance are a central theme in many novels, allowing authors to explore relationships between different classes and groups within society, as well as to depict patterns of control and conflict.

Keywords: Social Dominance, Sexual Discrimination, Class Discrimination, Ideology, The Social Approach.

الهيمنة الاجتماعية في الخطاب الروائي السعودي
دراسة نقدية اجتماعية في نماذج مختارة للفترة من (١٩٩٠-٢٠٢٠)

أ. شروق عبد الله الثميري
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية | جامعة الملك سعود | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يرتبط مفهوم الهيمنة الاجتماعية بترتيب العلاقات الاجتماعية، حيث تسود مجموعات معينة على غيرها من خلال النفوذ والسيطرة، سواء كانت هذه السيطرة اقتصادية أو فكرية، فالهيمنة قدرة مجموعة أو طبقة اجتماعية معينة على فرض نفوذها وقيمها وأيديولوجيتها على المجتمع بأكمله؛ مما يؤدي إلى تشكيل علاقات قوة غير متكافئة بين المجموعات المختلفة. تعتمد هذه الهيمنة على القوة الناعمة مثل الإيديولوجيا والثقافة، بالإضافة إلى القوة الصلبة كالاقتصاد.

والهيمنة الاجتماعية عامل حاسم في تشكيل العلاقات الاجتماعية، وتؤدي إلى إدامة التفاوت وعدم المساواة. وتلعب الرواية دورا مهما في تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية والثقافية، وتعد تمثيلات الهيمنة الاجتماعية موضوعا مركزيا في العديد من الروايات، ويتيح هذا الفن الادبي للمؤلفين استكشاف العلاقات بين الطبقات والجماعات المختلفة داخل المجتمع، وتصوير أنماط السيطرة والصراع.

الكلمات المفتاحية: الهيمنة الاجتماعية، الجنسوية، الطبقية، الإيديولوجية، المنهج الاجتماعي.

المقدمة:

يهتم هذا البحث بتجليات الهيمنة الاجتماعية في نماذج من الرواية السعودية بمستوياتها المتنوعة وفق السياقات التاريخية والحضارية التي مرت بها المملكة العربية السعودية من تسعينيات القرن الماضي وحتى الوقت الحاضر. وقد ارتبط التداول العام لمفهوم الهيمنة في السياق العريض للعلوم الإنسانية باسم المفكر الإيطالي (غرامشي ١٨٩١- ١٩٣٧) فهو أكثر من أي منظر آخر في زمنه وسع من مجال دور العامل السياسي في إعادة صياغة مفهوم الهيمنة؛ فبات في ضوء إضافات غرامشي يحمل مضامين تتجاوز بصورة جذرية فكرة التحالف الطبقي المرحلي كما وجدناها عند الاجتماعيين الديمقراطيين الروس، وقد ظهرت ثلاثة مستويات متدرجة عند غرامشي لتطور الوعي وإستراتيجيات العمل الجماعي السياسي تمثل الهيمنة، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- مستوى المصالح الاقتصادية الفئوية، ينحصر الاهتمام بالتعبير والدفاع والسعي لتحقيق تلك المصالح لفئة بعينها، ويرجع غرامشي هذه الممارسة إلى العصور الوسيطة، ويرى شيوعا لها في العصر الحديث من خلال العمل النقابي البحت، فمستوى المصالح الاقتصادية الفئوية هو مستوى شعور المتنمي إلى جماعة مهنية متجانسة بحاجته إلى التنظيم الذاتي بغرض الدفاع عن مصالح منبثقة من واقع مهنته.
- مستوى المصالح الاقتصادية الطبقية، يتسع في هذا المستوى الوعي والاهتمام بالمصالح والعمل الجماعي على تحقيقها ليشمل الطبقة الاقتصادية- الاجتماعية برمتها.
- مستوى الهيمنة، وهو مستوى العمل الجماعي الذي دافع عنه (غرامشي) من خلال تطويره لفكرة الهيمنة من آلية عارضة للتحالف الطبقي تحتمها ظروف استثنائية وطارئة إلى إستراتيجية للفعل السياسي تقوم بموجبها طبقة أساسية. (أسعد الشملان، ٢٠١٨، ص٢١٧-٢١٨)

ويُستخلص من هذه المستويات عند (غرامشي) مفهوم الهيمنة الاجتماعية على أنه قدرة المجتمع على تشكيل المفاهيم الجمعية للمجتمع الصادرة عنه، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، ويختلف المعيار القيمي للإيجابية والسلبية من مجتمع إلى آخر، فما يُحمد في مجتمع قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر، وبالعكس، ومن ثم فهو مفهوم قيمي خاص بالمجتمع الصادر عنه، ولا يمكن تعميمه على المجتمعات الأخرى إلا ما يتماس والقضايا الإنسانية العامة. كما أنه لا يمكن الفصل بين القضايا الاجتماعية والمراحل التاريخية التي مر بها المجتمع؛ باعتبار أن الأدب جزء من البنى الفوقية التي تعكس البنى التحتية للمجتمعات، ومن ثم يمكن التأكيد على أهمية الجنس الروائي دون غيره من الأجناس الأدبية في الكشف عن الصراع الاجتماعي وما يكتنفه من تعارضات الحياة، فـ (جورج لوكاتش) يركزعلى الوظيفة الاجتماعية للجنس الروائي من خلال مفهوم (الكلية الاجتماعية) الذي نادى به، فزمن الرواية عنده هو زمن الصراع بين الطبقات الاجتماعية، ودلالة الرواية هي الصراع الاجتماعي، لأنها "مرآة الكلية الاجتماعية التي تتراءى فيها أي مرآة لما يفصح عن حركة التاريخ ولما يحجبها أيضا"(فيصل دراج، ١٩٩٩، ص١٠٢). وبهذا التحديد لدور الرواية واقتصاره على الوظيفة الواقعية تبقى وظيفة الأعمال الأدبية عند (لوكاتش)، وخصوصا الرواية، محدودة بقدرتها على التعبير عن "التاريخ في المصائر البشرية التي تعكسه، مثلما أن عليه الدور أن يرسم القوى الاجتماعية المتصارعة" (جان لؤي كاباناس، ١٩٨٢، ص٢٩).

وعلاوة على أهمية الجنس الروائي في هذا السياق، وارتباط الأدب بالمجتمع، يكتسب البحث أهميته أيضا من أن للهيمنة الاجتماعية دلالات تتسع لتشمل المحيط الثقافي والاقتصادي والديني المحيط بالمجتمع؛ فتشكل بذلك عاملا مهما في رصد وتتبع الأثر الاجتماعي في الجنس الأدبي، وكيف يمكن أن يكون فاعلا في توجيه الأدب وجهة محلية خاصة يتسم بها ضمن الإطار الإنساني العام.

من جهة أخرى، يقدم المجتمع السعودي عبر مراحله المختلفة والتي أثرت في مضامين الإنتاج الروائي مادة جديرة بالدراسة، وهنا لا يمكن تجاهل حركة التاريخ التي صورتها الروايات في مراحل زمنية متفاوتة، ولكل مرحلة من هذه المراحل سماتها التاريخية والجغرافية والاجتماعية الخاصة بها، ترصد في كل منها حضور البعد الاجتماعي وهيمنته. لقد ارتبطت الرواية السعودية - كغيرها من الروايات العالمية والعربية - بحركة التاريخ وتأثيره في المجتمع، ويمكن تقسيم المراحل التاريخية للأدب السعودي بشكل عام والرواية بشكل خاص إلى ثلاث مراحل: مرحلة ما قبل الطفرة، من توحيد الملك عبدالعزيز للمملكة العربية السعودية، مرحلة أثناء الطفرة (١٩٧٣) في عهد الملك خالد حين ارتفعت أسعار البترول وحتى (١٩٩٠) مرحلة ما بعد الطفرة في عهد الملك فهد (١٩٩٠) وحتى اليوم الحاضر. وهي مراحل تاريخية اقتصادية متتابعة وغير منفصلة، ولكل منها طابعه الاجتماعي الممتد والمهيمن على الحس الجمعي الصادر عنه.

ساهم هذا التاريخ في صياغة التركيبة الاجتماعية، وساهم في تنوع قضاياها؛ وهذا ما يعزز الوظيفة التاريخية للجنس الروائي، إذ تشترك الرواية مع التاريخ في تناولها قضايا الإنسان والزمان والمكان والأسلوب السردي، فالرواية بنية زمنية متخيلة خاصة داخل البنية الحديثة الواقعية، وقد يكون تاريخا لشخص أو حدث أو موقف أو خبرة أو جماعة (بوجمعة بو حفص، ٢٠٢١، ص٥٠٩) وهو بعد يشمل قراءة ما هو تاريخي واجتماعي وإيديولوجي وثقافي في النص، وهو بعد لا يوجد دون الواقع.

مشكلة الدراسة:

سيحاول البحث تحديد مظاهر الهيمنة الاجتماعية في الرواية السعودية ومعرفة إرهاصاتها الحضارية والثقافية المحيطة بها.

فرضيات الدراسة:

ينطلق هذا البحث من فرضية وجود أنماط للهيمنة الاجتماعية في الرواية السعودية، وهي على النحو الآتي:

- **الهيمنة الجنسوية** (Gender Hegemony)، ونقصد بها هيمنة جنس على آخر، أو هيمنة الجنس ذاته على الآخر. وهي هيمنة اجتماعية ذات جذور جنسوية يمكن تلمس مظاهرها في الرواية السعودية ومنها: سيطرة الرجل على المرأة وانتزاع حقوقها الفطرية والاجتماعية والعاطفية والمادية، فالرجل هو المسيطر والمضطهِد للمرأة سواء أكانت زوجة أم أما أم أختا. وقد برزت ظاهرة الجواري في الرواية السعودية بشكل لافت للنظر، ومتوافق والفترة الزمنية الصادرة عنها في فترة ما قبل الطفرة؛ إذ لايزال العبيد والجواري يعيشون في بيوت أسيادهم حتى أصدر الملك فيصل قرارا بتحرير العبيد في المملكة العربية السعودية عام ١٨٧٥م، رصدت (أميمة الخميس)، على سبيل المثال، في روايتها (البحريات) تلك الظاهرة التي تمثل هيمنة اجتماعية ضد المرأة، فالجواري نوعان: جواري فراش جميلات، وجواري خدمة سوداوات، وهنا تظهر الهيمنة الاجتماعية في بعدها الجنسوي بشكل هاتك لكرامة المرأة وهويتها الفطرية والنفسية والاجتماعية. كما تظهر تلك الهيمنة الاجتماعية ذات البعد الجنسوي في التحيز للرجل دون المرأة في (سقف الكفاية)، "ففي الرياض يعلمونهم كيف يكونون ذكورا قبل أن يكونوا إنسانا" (محمد علوان، ٢٠١١، ص٢٢١).
- **الهيمنة الطبقية**، ويُقصد بها الفروق الطبقية وأثرها في المجتمع، وقد رصدت الروايات السعودية بعض مظاهر تلك الفروق سواء أكانت قبلية أم اقتصادية أم دينية رصدا متوافقا والفترة الزمنية الصادرة عنه.

ومن أمثلة الفروق القبلية ذات البعد الاجتماعي ما جاء في رواية (القندس) حيث نزح بعض سكان جنوب المملكة إبان الطفرة بحثا عن عمل ووجاهة اجتماعية في مجتمع الرياض، فقد كان الأب الجنوبي النازح من قريته في جنوب المملكة يعمل في بداياته عاملا بسيطا ثم تعرف على بعض وزراء ووجهاء الرياض الذين استغلوا اسمه في تسجيل أملاكهم الخاصة مقابل عمولة بسيطة من المال متفق عليها مسبقا، وبناء عليها كتبوا مبايعة سرية بينهم وبين العامل الجنوبي لم تظهر إلا بعد وفاته، وظلت الرياض بساكنيها ترفض المصاهرة مع أهل الجنوب أو الحجاز من منطلق طبقي اجتماعي خاص بها.

كما تظهر الهيمنة الاجتماعية ذات البعد الطبقي الطائفي في رواية (الآخرون)، فحبيب الشخصية الرئيسة من الرياض وهي من القطيف وبين المدينتين مسافات تصفها الراوية قائلة: " كنا قطبين لا يسعهما إلا أن يختلفا، كليل الله ونهاره، امرأة ورجل، شيعية وسني، سلاف دمه البداوة ومدينتي سنابلها خضراء، جاف وماطرة، حاد ورهيفة" (صبا الحرز، ٢٠٠٦، ص٢١٩)، وتصف الرياض قائلة: " والرياض التي تعلم أولادها كيف يكونوا أشداء علمته جيدا كيف ينأى عن الناس بمن فيهم أنا" (صبا الحرز، ص٢٢٠).

- **الهيمنة الإيديولوجية**، ونقصد بها هيمنة فكر أو معتقد على الآخرين سواء أكان عقائديا أم سياسيا أم أدبيا أم اجتماعيا؛ إذ لا يمكن مقاربة النصوص الروائية من الداخل فقط، بل لا بد من اعتماد مقاربة خارجية في محاولة لفهم النص في إطار سياقه المحيط به، وقد أشار (سعد يقطين) إلى مفهوم البنية النصية الكبرى التي يتحول فيها الأدب إلى "مؤسسة اجتماعية لإنتاج القيم النصية والثقافية العامة وإعادة إنتاجها" (سعيد يقطين، ١٩٨٨، ص١٥٠)، واهتم (باختين) بدور اللغة المشحونة بالإيديولوجيا في تجسيد الواقع الاجتماعي المعبر عنه، فهو يرى أن" كل شخصية وكل هيئة تمثل في الرواية لها صوتها الخاص ولغتها الخاصة، وأخيرا أيديولوجيتها الخاصة" (حميد لحميداني، ١٩٩٠، ص٢٦)، وهيمنة الإيديولوجيا في النص الروائي هي بالفعل هيمنة سلطوية سائدة "لنظام أو لجماعة سياسية أو ثقافية، يدعمه أو يناقضه أو ينقده سلميا وحسب" (عبداللطيف محفوظ، ٢٠١٦، ص١٧٤)، تنطلق الفكرة الإيديولوجية من "مراحل التفكير المجرد، ويستمر التثبيت النهائي للموضوعات في المنتوج الذي نسميه نصا" (عبداللطيف محفوظ، ص١٨٠-١٨١).

ويمكن عرض أبرز مظاهر الهيمنة الاجتماعية ذات الطابع الإيديولوجي كما ظهر في الرواية السعودية بالشكل الآتي:

أدلجة دينية\ طائفية

عرضت صبا الحرز في رواية (الآخرون) فكرة ما تعتقد أن الشيعة يشعرون باضطهاد طائفي من خلال الذات، وقد شكلت هذه الفكرة الثيمة الأهم والأبرز في الرواية رغم محاولة الكاتبة تغليفها برداء جنسي، فهي ذات متأرجحة بين معتقداتها الطائفية وواقعها الإنساني الشاذ، والذي لم يحل بينها وبين ممارساتها الشخصية في إقامة علاقات جنسية شاذة، وتعلن أن خوفها دائما ما يكون من الآخرين \المجتمع \الدين \المحيط (الآخرون) الذين هم سبب مخاوفها على الدوام. لقد ظهرت الهيمنة الاجتماعية ذات البعد الإيديولوجي

الطائفي الذي عبرت عنه الكاتبة في مجمل الرواية منطلقة من فكرة ضامة رئيسة مفادها: الأنا السني مقابل الشيعي، واستعمال ضمير المتكلم في صيغة الجمع يحيل على ذات جماعية توهم بتحري الحقيقة ولا تتصل بذات المتكلم أو شخصيته.

أدلجة دينية\ فكرية

ظهرت جماعات فكرية متطرفة في المجتمع السعودي بمعتقداتها وتوجهاتها وقد سيطرت فترة من الزمن فيما يسمى بالصحوة الدينية في سبعينيات القرن الماضي وصولا إلى الألفية الثالثة في سنواتها الأولى، و شكلت هيمنة اجتماعية ذات بعد فكري لافت للنظر، صورت معظم الروايات السعودية الصادرة في زمن الدراسة ما بين (١٩٩٠-٢٠٢٠م) تلك الهيمنة، ورصدت مظاهرها ومصادرها وأهدافها ومن ثم نتائجها.

بدأت مظاهرها بالجماعات الدينية المتطرفة في المساجد والمعاهد الصيفية، وقد ظهر ذلك في رواية (الإرهابي) حيث صور الراوي فتى يعيش في جنوب المملكة عاصر حياة أسرية قاسية، كان الأب فيها ممثلا للهيمنة الذكورية المتسلطة على حياة الأسرة بأكملها، وكانت أبها أشبه بقرية مغلقة تتكاثر فيها الجماعات الدينية المتطرفة بدءا من المدرسة بمراحلها المختلفة مرورا بالمعاهد الصيفية وانتهاء بالرحلات الموسمية خلال الحج والعمرة، وقد استطاع (زاهي) أن يكتشف حقيقة تلك الجماعات بشكل تدريجي من خلال المواقف التي تعرض لها، والتي ساهمت في تغيير مساره الإنساني والاجتماعي والفكري والعلمي من متطرف إلى كاشف للتطرف في ثنائية إنسانية متضادة؛ ليصبح موقف زاهي من التطرف الديني انتماء \\ لا انتماء، حب \\ لا حب، عنف \\ سلام.

تشعب هذا الفكر المتطرف ليمتد إلى المدارس والأطفال، وينشئ قاعدة دينية مؤدلجة تخدم مناهج وتوجهات سياسية ودينية خارجة عن سلطة القانون، وقد ساعد الأهل في بناء هذه المنظومة اعتقادا منهم بأنها الأفضل والأصلح للأطفال؛ لتحميهم من المجتمع المحيط بهم. كما ظهر تأثير التيار الديني المتطرف في مرحلة (جهيمان) وما بعدها واضحا في المجتمع، فحرم التلفزيون والهاتف والأغاني والرقص وكل مظاهر الحياة، وانتشر جهاز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممثلا سلطة دينية حازمة وراصدة لسلوك المجتمع، تقول رواية (غراميات شارع الأعشى) راصدة تأثير ذلك على بعض أفراد المجتمع: "إن سعدا وضع التلفزيون في مجلس الرجال وغطاه بسجادة الصلاة ولم يعد يشاهده، وإن سعدا أحيانا إذا سمعها وهي تفتح الراديو ومرت أغنية ونسيت أن تقفل الراديو يلومها كثيرا" (بدرية البشر، ٢٠١٣، ص١٢٣).

وقد رصدت معظم الروايات السعودية هذه الهيمنة الاجتماعية ذات البعد الإيديولوجي الفكري المتطرف بدءا من حركة (جهيمان) في عام (١٤٠٠هـ)، والتي شكلت تاريخا مهما في مواجهة التطرف الفكري وتوغله في المجتمع السعودي، وما تبع ذلك من هيمنة ذلك الفكر فيما يسمى بالصحوة، وفي كل من تلك الروايات كان المهاد التاريخي الحضاري الاجتماعي يرصد ويؤكد على تلك الهيمنة التي ضاق بها المجتمع ووقف ضدها وقفة حازمة. وقد رصدت معظم الروايات الحدث الأبرز والأهم في تلك المرحلة ألا وهو احتلال الحرم، وكان من نتائج ذلك:

- حرق الكتب والمجلات
- منع بث الأغاني في التلفزيون
- منع الأغاني في المناسبات الاجتماعية
- تشديد الرقابة الدينية على المجتمع بسلطة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- التغيير التام في شكل ولبس النساء

أدلجة اجتماعية \ العادات والتقاليد

نقصد بها هيمنة العادات والتقاليد الاجتماعية على المجتمع المحيط بها بما يشكل عرفا اجتماعيا خاصا يصعب عبوره أو تجاوزه، وقد اختلفت تلك العادات باختلاف المراحل التاريخية الصادرة عنها، فما هو محرم ومرفوض اجتماعيا في مرحلة ما قبل الطفرة ليس كذلك أثناء أو بعد الطفرة، وهكذا فإن لحركة التاريخ أثرا كبيرا في الحركة الاجتماعية لا يمكن لدارس الرواية أو أي جنس أدبي تجاوزها، لذا يرى (جورج لوكاتش) أن العمل الروائي هو وسيلة من وسائل تأمل فلسفة التاريخ وتغيراته: "فما حركة الرواية إلا أثر لصراع طبقات متناقضة تخلق في صراعها التاريخ، وتضيف إليه تاريخا مجزوءا هو الرواية" (فيصل دراج، ١٩٩٩، ص٢٨)، ومن ثم فإن الرواية هي الصراع الاجتماعي لأنها " مرآة للكلية الاجتماعية التي تتراءى فيها أي مرآة لما يفصح عن حركة التاريخ ولما يحجبها أيضا" (فيصل دراج، ص٢٩). ولعل أهم القضايا التي ظهرت فيها الهيمنة الاجتماعية في بعدها الخاص بالعادات والتقاليد:

- رفض تعليم المرأة وحصر وظيفتها في سياق اجتماعي محدود
- الاحتفاء بقرار الملك فيصل فتح مدارس للبنات، وأثر ذلك على المجتمع

- رفض دراسة البنات للطب
- رفض مشاهدة النساء للتلفزيون أو استعمال الهاتف
- رفض قيادة النساء للسيارات، ومظاهرة (١٩٩٠م)
- رفض العلاقة بين المرأة والرجل خارج حدود العلاقة الشرعية، ما نتج عنه من محاولات للهروب من سلطة الرقيب الاجتماعي.

وهي مظاهر اجتماعية سلطوية شكلت في مراحلها التاريخية ظاهرة لافتة في الرواية السعودية في ثنائية بين سلطة العادات والتقاليد \ المرأة، فلم يشعر الرجل بتلك الهيمنة إلا فيما يخص العلاقات الغرامية الخاصة، وإلا فيما عدا ذلك فقد حظي بمكانة وحفظت له حقوقه الاجتماعية والعلمية.

صورت الروايات التي عكست الواقع الاجتماعي السعودي في مرحلة ما قبل الطفرة رفض المجتمع لتعليم المرأة، واعتبار ذلك مخلا بوظيفتها الأسرية والاجتماعية، ثم رصدت فيما بعد احتفاء الطالبات بدخولهن المدارس لأول مرة في تاريخ المملكة حيث كن بأعمار متفاوتة في الفصل الواحد.

وبعد دخول التلفزيون في الرياض عام (١٩٦٨م)، حاصر الرجال هذا الجهاز الجديد، وخافوا على نسائهن منه، ورفضه رجال الدين رفضا قاطعا فحرموه، كذلك الهاتف الذي شكل دخوله قلقا اجتماعيا أسريا من استخدام الفتيات له، لذا انحصر وجوده في البدايات كالتلفزيون على مجالس الرجال.

وكان منع قيادة المرأة ينسجم مع الهيمنة الاجتماعية ضد المرأة، لكن حرب الخليج عام (١٩٩٠م) أحدثت حراكا اجتماعيا لافتا للنظر حيث قامت عدد من السيدات الأكاديميات بمظاهرة تطالب بقيادة المرأة للسيارة، وقد أحدثت تلك الحركة شرخا اجتماعيا صارخا؛ لذا يمكن اعتبارها الحركة الأهم التي صورتها معظم الروايات السعودية ؛ كونها كانت تخالف طبيعة المجتمع في الرياض، حيث كان متوقعا أن تظهر في إحدى المدن الأكثر انفتاحا كجدة أو الدمام، وللأسف قابل المجتمع بمستوياته الفكرية والدينية تلك الحركة بالرفض، بل بتكفير صاحباتها ورجالهن، فقد قبضت عليهن الشرطة مباشرة، كما رفضت المساجد من خلال الخطباء ذلك السلوك، وعرضت بأسمائهن وأزواجهن. (سعد الدوسري، ٢٠١٢، ص ص ٧٤- ١٥٥-١٢-١٢١).

تشكل العلاقة بين المرأة والرجل أنموذجا خاصا في المجتمع السعودي إذ يرفض العلاقة بين الجنسين خارج مؤسسة الزواج، لذا حضرت الهيمنة الاجتماعية في بعدها المرتبط بالعادات والتقاليد في معظم الروايات السعودية، فللرجل الحرية المطلقة في فعل ما يشاء متى يشاء وأينما يشاء، وفي المقابل، تحاصر المرأة حصارا مبكرا وفق سلطة ذكورية متسلسلة بدءا من الأب ثم الأخ، لكن الغريب أن الروايات التي صورت المجتمع السعودي في مرحلة ما قبل وأثناء الطفرة حفلت بالكثير من تلك العلاقات خارج سلطة الرقيب الاجتماعي بما يتوافق والفطرة البشرية قبل تيار الصحوة الذي قلب الموازين وأربك المعادلات الكونية، وفي كل مرحلة تاريخية كان الجنسان الذكر والأنثى يبحثان عن بعضهما الآخر وفق الإمكانات المتاحة للقاء. وفي مرحلة الطفرة اختلفت الأمكنة باختلاف السياق الحضاري والاقتصادي، فاستبدل السطح بالشوارع الرئيسة، شارع الثلاثين والعليا، والسوق الشعبي بالأسواق الحديثة كالعقارية والمتنبي. وبما أن التعارف بين الجنسين يخضع لسلطة وهيمنة المجتمع فقد حاولت الأجيال المتعاقبة أن تتأقلم مع كل مرحلة وأن تطور وسائلها حسب المتاح والموجود بدءا من الأسطح ثم الهاتف الثابت ثم الجوال ثم وسائل الإنترنت المفتوحة (انظر تركي الحمد، ٢٠٠١، ص١٧-٦٠، أميمة الخميس، ٢٠٠٦، ص١٢٨، بدرية البشر، ص ص ٣٩-٤٠-٤١-٤٤-٤٥، محمد علوان، ص٤٧). وعلى الرغم من ذلك ظلت العلاقة بين الجنسين محكومة بالسلطة والهيمنة الاجتماعية.

وستسعى الدراسة لإعادة النظر في نماذج مختارة من الروايات السعودية بما يتوافق وإشكالية البحث. وقد تبين بالرجوع إلى الروايات موضع الدراسة أنها شكلت وثيقة روائية راصدة لأهم مظاهر الهيمنة الاجتماعية عن طريق العودة إلى مرحلة تاريخية ذات مظاهر اجتماعية مختلفة. ويشكل التأطير التاريخي للمراحل التي مرت بها الرواية السعودية مدخلا مهما للوقوف على تلك القضايا، والسؤال الحاضر هنا: هل ناقشت الروايات الصادرة في تلك المراحل الزمنية من (١٩٩٠- ٢٠٢٠م) القضايا الاجتماعية المعاصرة، أم عادت من خلال تقنية الاسترجاع لرصد مظاهر هيمنة اجتماعية في مراحل متقدمة وسابقة على ظهورها؟

أهمية الدراسة:

يساهم البحث في الكشف عن تمثيلات الهيمنة الاجتماعية في نماذج من الرواية السعودية بمستوياتها المتنوعة، وملاحظة التحولات التي مر بها المجتمع السعودي، وما آل إليه عبر مراحله التاريخية. إلى جانب المساهمة في التصنيف الأدبي الأنثربولوجي، الذي يوازن بين التاريخ والواقع. كما تستمد الدراسة أهميتها من اعتمادها على الجنس الروائي وهو أقدر الأجناس الأدبية على تصوير الواقع، وكذلك في تناول المجتمع السعودي الذي مرّ ولايزال بتغيرات عديدة ومتسارعة أحدثت أثرا واضحا في الحياة الاجتماعية، ويطمح البحث أن يكون إضافة إلى جهود سابقة في دراسة العلاقة بين المجتمع والرواية في إطار عام يشمل أنواع الهيمنة الاجتماعية.

منهج الدراسة:

يتبع البحث المنهج الاجتماعي باعتباره الأقدر لكشف العلاقة بين المجتمع والأدب الصادر عنه. يشير النقد الاجتماعي إلى قراءة ما هو تاريخي واجتماعي وإيديولوجي وثقافي في النص، وهو نقد لم يكن موجودا دون الواقع (مجموعة من الكتاب، ١٩٩٧، ص١٣٦)، أثبت النقد الاجتماعي ارتباط الأدب بالمجتمع، وفي هذا السياق فُسر كل أدب حسب محدداته وحاجاته الخاصة، وعُد تجاوبا مع متطلبات فترة ما مما يُوجب قراءة الأدب وفق تعاقب فترات عضوية بحيث يستوعب العامل الاجتماعي معظم حاجاتها، وتتحطم هذه الوحدة تحت ضغط حاجات جديدة تتطلب تركيبات اجتماعية جديدة. فهو لا يضع إطلاقا نقطة النهاية التي تجعل من النص نتاجا نهائيا.

وتشكل كثرة الروايات الصادرة في الفترة من (١٩٩٠م) إلى وقتنا الحالي صعوبة فعلية في عملية الانتخاب، فلا تكاد تخلو رواية سعودية من بروز ظاهرة الهيمنة الاجتماعية بكل قضاياها المتوافقة والفترة الزمنية الصادرة عنها؛ لذا فقد حاولت الدراسة اختيار ما تعتقد بتمثيله لأهم القضايا الاجتماعية التي هيمنت على المجتمع السعودي.

ومن مصادر البحث الروائية المختارة:

بدرية البشر، غراميات شارع الأعشى، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠١٣م

صبا الحرز، الآخرون، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٦م

تركي الحمد، الشميسي، بيروت، دار الساقي، ط٣، ٢٠٠١م

أميمة الخميس، البحريات، سوريا، دار المدى، ط١، ٢٠٠٦م

ليلى الجهني، الفردوس اليباب، ألمانيا، دار الجمل، ط١، ١٩٩٩م

سعد الدوسري، الرياض- نوفمبر٩٠، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠١٢م

يوسف المحيميد، القارورة، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٦م

عبدالله بن بخيت، شارع العطايف، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٩م

سيف الإسلام بن سعود، قلب من بنقلان، بيروت، دار الفارابي، د-ت

عبدالله ثابت، الإرهابي ٢٠، سوريا، دار المدى، ٢٠٠٦م

محمد علوان، القندس، بيروت، دار الساقي، ط٥، ٢٠١١م

سقف الكفاية، بيروت، دار الفارابي، ط٢، ٢٠٠٤م

الإطار النظري والدراسات السابقة:

انصرفت توجهات النقد في المنهج الاجتماعي خاصة إلى الاهتمام بالعلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع، وإبراز الارتباط الوثيق بينهما. وهناك العديد من الدراسات حول الرواية العربية في علاقتها بالمجتمع وقيمه، ومدى انسجامها مع ما هو سائد من أعراف أسست لها مرجعيات الجماعة التي تنتمي إليها الرواية، وكيف يكون للواقع حضور في النص الروائي، سواء ساير الكاتب الواقع أو ناقضه أو دفع إلى تغييره. وعلى صعيد محلي، حظيت الرواية السعودية بدراسات نقدية اجتماعية تتناول جانبا أو أكثر من جوانب الهيمنة الاجتماعية، ومن هذه الدراسات:

علياء العمري، الرواية السعودية بين التنوير والتكفير، قراءة اجتماعية تاريخية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٦٣، سبتمبر، ٢٠١٧

تناولت الدراسة التيار الفكري والاجتماعي للرواية السعودية مرتبطا بالمراحل التاريخية التي مرت بها الرواية السعودية، وفقا للمنهج الاجتماعي في النقد مع ربطه بالظواهر التاريخية لفهم الأحداث ضمن سياقاتها المتداخلة. وقد اتخذت شكلا فنيا وكميا متفاوتا عبر مراحلها، وكان الفضاء الاجتماعي العام هو النزال الفكري بين التنوير والتكفير. وكانت تسعينيات القرن العشرين مرحلة الطفرة الروائية والجرأة في الموضوعات ومهارة السرد مع العديد من التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية، إلى جانب ازدهار الدراسات النقدية والتاريخية. وقد عُدت (شقة الحرية) لـ (غازي لقصيبي) و(ثلاثية أطياف الأزقة المهجورة) لـ (تركي الحمد) نقلة نوعية لجرأتهما التي لم يشهدها المجتمع السعودي. وأضافت الباحثة عنصرا آخر ساعد على تطور الرواية السعودية وهو المنزلة الاجتماعية التي سمحت للقصيبي والحمد بتخليهما عن نموذج السارد – الرقيب، وخصوصا أنهما يمثلان الاتجاه الحداثي والليبرالي.

وبعد حرب الخليج الثانية، انطلقت الرواية السعودية بمضامين جريئة نظرا للانفتاح الإعلامي والمعلوماتي في ظل العولمة التي يصعب إخضاعها للرقابة، وفي مرحلة لاحقة، استفاد الروائيون من الشبكة العنكبوتية والمنتديات الثقافية في تمرير رواياتهم. وتزايدت الجرأة بعد (١١\سبتمبر) حيث كانت موضوعات التشدد الديني والإرهاب من المضامين الروائية البارزة في الإنتاج الروائي السعودي، وشقت الرواية السعودية طريقها نحو التخييل الواقعي، وتجردت من الخطب الوعظية والإصلاحية التي سادت في بداياتها، فأصبح

المجتمع بما يحمل من متناقضات وإشكالات مادة ينسج منها الروائي موضوعاته. وهنا تركزت الحملات المضادة على مضامين الرواية في كونها تعبر عن واقع المجتمع، وأن ما تقدمه هو صورة خاطئة عن مجتمع محافظ، وأنها دعوة إلى الرذيلة وانتهاك لخصوصية المجتمع السعودي المسلم.

وقد أفردت الباحثة التجربة النسائية لعدة أسباب، منها ظروف النشأة المتأخرة نتيجة للعوامل الاجتماعية والثقافية من تأخر تعليم المرأة وعزلتها عن الفضاء العام وما يتيحه من فرص عمل وتعليم وحضور في الحياة العامة، كما كان الخطاب النسوي محملا بالإقصاء والدونية وسلطة الرجل المطلقة، ويعبر السرد في الرواية النسائية عن جدل الذات مع الواقع، فهي تضع تجربتها وتاريخها المهيمن عليه من قبل الرجل ركيزة أساسية لكتاباتها، وهي ذات ناقمة تفترض سوء الرجل مقدما.

وخلصت الباحثة إلى وجود تيار فكري واجتماعي ذي حضور فاعل في المجتمع السعودي يرفض من منطلقات عقائدية واجتماعية وأخلاقية الإنتاج الروائي بشكله الحالي، لكن الظروف الحالية تمثل أملا جديدا، فما زال الخطاب الروائي يحمل مضامين متعددة تتسم بالجرأة، وكُتب لها الصمود أمام الهجوم والنقد والمنع.

نوره المساعد وعلياء العمري، خطاب السلطة الأبوية، دراسة في بعض النماذج الروائية السعودية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩٢

قدمت الدراسة محاولة لفهم السياق الاجتماعي الذي تنتج فيه خطابات السلطة الأبوية في بعض النماذج الروائية اعتمادا على منهج تحليل الخطاب للكشف عن الوظائف التي يقدمها النص الروائي. واتجهت إلى رسم عدة أفكار فيما يتعلق بمنهجية التحليل كالسلطة والمقاومة التي تم ابتكارها من قبل (فوكو)، والتي تتجه إلى تحليل البناء المعرفي الإنساني بما فيه من أفكار وعلاقته بالتاريخ والإيديولوجيا، كما استعانت بمنهج تحليل الخطاب لدى (فاكلوف) المبني على فرضية أن العالم الاجتماعي مشيد نصيا لكن ليس بصيغة متطرفة، فما هو اجتماعي قادر على إنتاج الخطاب الذي يؤثر في النص.

اتجه التحليل السيسيولوجي إلى ثلاثة أنماط لتفسير الخطاب، وهي أن يكون الخطاب معلومات اجتماعية أو انعكاسا لإيديولوجيا معينة، أو أن يأتي في صورة منتج اجتماعي. وتشكل هذه الأنماط الثلاثة خليطا من التصورات الاجتماعية في تقديم تفسيرات اجتماعية للخطاب الروائي.

ألقت الدراسة الضوء على ثلاث روايات، هي: (الرياض- نوفمبر٩٠)، كتبت في (١٩٩٢م)، ونشرت في (٢٠١١م)، و(أنثى العنكبوت) نشرت في (٢٠٠٠م)، وسقر نشرت في (٢٠٠٨م). وخلصت الدراسة إلى خضوع كل من خطاب الذكورة والأنوثة إلى هيمنة ثقافية أكبر وأعمق من إلقاء اللوم على الهيمنة الذكورية؛ فهو تواطؤ كموافقة مرتبطة بالشروط الاجتماعية لإنتاج وإعادة إنتاج الاستعدادات. فالتنشئة الذكورية تتجه إلى ترسيخ سلبية النساء وتصغيرهن لذاتهن وإنكارهن لها، وبالتدريج يتمرسن على الفضائل السلبية في خنوع وصمت، أما الرجال فيخضعون للتمثل المهيمن في تكتم شديد، ومن ثم يصبح عند النساء استعداد للخضوع، وعند الرجال استعداد للممارسة الهيمنة.

لقد قدمت نماذج الدراسة إشكاليات عميقة في التاريخ الإنساني بوجه عام، إذ يتم إخضاع النساء لتسلط تاريخي يحيلهن على رأس مال رمزي للذكور سواء آباء أو أزواج أو إخوة، وتتم مراكمة رأس المال الرمزي للاستفادة منه في تحقيق مصالح تبادلية مع القبيلة أو العشيرة أو مع من يرى الذكر في الأسرة أنه يحقق مصالح اقتصادية أو قبلية له شخصيا، وهذا يتمظهر في النماذج الروائية بصورة متكررة. فقضية الهيمنة الذكورية تطرح بعدا مهما وهو سيطرة العقل الجمعي الذي يشرعن الهيمنة الذكورية من خلال النظام الاجتماعي، فتصبح السلطة الأبوية بما تحمله من قمع وتسلط أمورا طبيعية يتم استدماجها في شخصية كل من الذكور والإناث في عملية التنشئة الاجتماعية.

صباح البشير، بدايات التحديث في المجتمع السعودي وملابساته من خلال رواية غراميات شارع الأعشى، دراسة في ضوء النقد الثقافي، مجلة آداب البصرة، العدد ٨٤، ٢٠١٨م

جعلت الدراسة النقد الثقافي سبيلا لرصد حركة المجتمع السعودي من أجل الوقوف على الأنساق والمعالم التي سادت في المجتمع، وقد ارتبطت (غراميات شارع الأعشى) بقضايا المجتمع السعودي ومشكلاته الأساسية، وفي مقدمة هذه المشكلات التعصب الديني الطارئ، ويلمح في الرواية انحيازا للفكر المتحرر. كما عرضت الرواية جوانب كثيرة من الواقع الجديد الذي بدأ يتشكل في المجتمع السعودي الحديث مثلما عرضت القديم. ويصور الجانب الأكبر منها الظلم والكبت والإحباط والقلق الذي يتعلق بالمرأة على نحو خاص، وبعض من دخلوا البلاد للارتزاق والعيش.

خلص الباحث إلى أن الرواية زخرت بصور كثيرة من معالم المجتمع السعودي إبان نقلته الحديثة، واقتربت مما يسمى بتاريخانية الأدب إلى حد كبير. ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة أن الرواية بينت الفروق في المجتمع السعودي بين الماضي القريب والحاضر المعاش؛ مما مكنها من رسم إطار تصاعدي لحركة المجتمع من الحياة القريبة من البدائية إلى حياة أكثر رقيا وتطورا. وركزت

الرواية على فكرة الفحولة[1] والذكورية المترددة في الفكر السعودي؛ وهو ما أسفر عن الوضع المزري للمرأة مما جسد أزمة حقيقية تمر بها المرأة السعودية والمجتمع بصفة عامة، وتجدر الإشارة إلى أن الرواية أثبتت أن جل ممارسات الفحولية لم تعد صالحة للعالم المعاصر.

لم تستطع بطلة الرواية أن تحقق ما خططت له مدة زمنية طويلة ودفعت من أجله ثمنا غاليا عندما وافقت على الزواج من الرجل المسن الذي يكبرها كثيرا على أمل أن تهرب مع حبيبها، وهذا دليل واضح على انزواء العنصر النسوي عن مكانته وحقيقته. ومن مظاهر الهيمنة الاجتماعية أيضا وجوب زواج السعودية من ابن البلد دون اعتبار لمشاعر المرأة وعواطفها مما جعلها ضحية هواجس نفسية لا تحسد عليها.

سهاد صائب، صورة الرجل والمرأة في رواية بنات الرياض، مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٤٢، شباط، ٢٠١٩م

وقفت الدراسة بداية عند مفهوم الأدب النسوي، وأن ما تكتبه المرأة هو تعبير عن رفضها الصورة الاجتماعية التي رسمت لها؛ واستعانت الدراسة بالمنهج التحليلي في الكشف عن أنماط التمييز بين الجنسين؛ فالهدف من الرواية النسائية هو الذات، وأصبحت المرأة تكتب في مواجهة مع الرجل كرد فعل يعالج قضيتها في المجتمع؛ فتنوعت الموضوعات في الرواية النسوية، وأهمها نقد الظلم الاجتماعي الموجه من قبل الرجال، والحث على التمرد النسوي ضدهم، والمطالبة بالحرية والصراع من أجل التخلص من القيود الاجتماعية التقليدية ضد المرأة.

بدأ البحث بتعريف الصورة الذي يعني إبراز الانفعالات الداخلية والخارجية بكلمات معبرة إما من خلال الوصف النقلي أو التحليل، وبواسطتها يستطيع الأديب المبدع أن يصب أفكاره وتمثلاته من خلال حضور تلك الصورة في نصه. وتنوعت صورة المرأة والرجل في (بنات الرياض) من زوجة مطيعة وامرأة أنانية ومعطاء وقوية، ورجل متمرد ومغتصب مستغِل وضعيف ومتسلط وإيجابي وخائن، وكان للهيمنة الاجتماعية والذكورية أثر بارز في هذه الصور، من ذلك ما كشفته الرواية عن أنواع العنف التي تستخدم ضد المرأة، لا سيما العنف المعنوي، كما أضافت على المرأة صفة التمرد على الواقع المجتمعي، ومنحت بطلات الرواية القوة والنفوذ ورفض السلطة الذكورية التي تجعل من شخصياتها تابعا.

تؤكد هذه الدراسات وغيرها وجود صور اجتماعية ديناميكية تجعل ملاحظتها ودراستها أمرا حتميا في الفهم والتأريخ الاجتماعي. وتطمح دراستنا أن تكون إضافة للعديد من الجهود التي سبقتها، في محاولة لإدراج مظاهر التغير المتعددة تحت إطار اجتماعي عام.

خاتمة

تعد الهيمنة الاجتماعية موضوعا شائعا في الرواية، إذ يستعمل الروائيون تمثيلات مختلفة لاستكشاف تأثيرات الهيمنة على الأفراد والمجتمع ككل. ومن التمثيلات الشائعة للهيمنة الاجتماعية الجنسوية والطبقية والفكرية.

تساعد هذه التمثيلات في تسليط الضوء على التعقيدات والتأثيرات المتعددة للهيمنة الاجتماعية، وكيفية تشكل العلاقات الاجتماعية والسلطوية في المجتمع وتأثيرها على الأفراد.

وتوفر الرواية مجالا خصبا للنقد الاجتماعي، إذ يمكن للكتاب أن يكشفوا عن الظلم وغيره من مظاهر القمع، وتعريف القراء على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية؛ مما يزيد الوعي حول قضايا مثل الفقر والتمييز بين الجنسين والعنصرية، كما قد يمكن من تحفيز النقاش والتغيير.

المصادر:

- بن بخيت، عبدالله، شارع العطايف، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٩م
- البشر، بدرية، غراميات شارع الأعشى، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠١٣م
- ثابت، عبدالله، الإرهابي٢٠، سوريا، دار المدى، ٢٠٠٦م
- الجهني، ليلى، الفردوس اليباب، ألمانيا، دار الجمل، ط١، ١٩٩٩م
- الحرز، صبا، الآخرون، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٦م
- الحمد، تركي، الشميسي، بيروت، دار الساقي، ط٣، ٢٠٠١م
- الخميس، أميمة، البحريات، سوريا، دار المدى، ط١، ٢٠٠٦م

(1) من المدلول اللغوي للفحل الذي يعني القوي أستمد المفهوم الاصطلاحي الذي يعني بالفحولة الذي له ميزة عن غيره. محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ص٢٧١

- الدوسري، سعد، الرياض- نوفمبر ٩٠، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠١٢
- ابن سعود، سيف الإسلام، قلب من بنقلان، بيروت، دار الفارابي، د.ت
- علوان، محمد حسن، القندس، بيروت، دار الساقي، ط٥، ٢٠١١م
- سقف الكفاية، بيروت، دار الفارابي، ط٢، ٢٠٠٤م
- المحيميد، يوسف، القارورة، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٦م

المراجع:

- دراج، فيصل، نظرية الرواية والرواية العربية، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩
- عزام، محمد، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، د.ت
- كاباناس، جان لؤي، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، ترجمة فهد عكام، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٨٢
- بو حفص، بو جمعة، الرواية والتاريخ، وإشكالية التداخل، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١٠، عدد٢، ٢٠٢١
- لحميداني، حميد، النقد الروائي والإيديولوجيا، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠
- مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، ١٩٩٧
- محفوظ، عبداللطيف، بناء الدلالة الإيديولوجية في الرواية العمانية، بيروت، دار سؤال، ط١، ٢٠١٦
- يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي "النص والسياق"، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٨